بسم الله الرحمن الرحيم

المبتدأ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه..

أما بعد

فمن أطرب الأحاديث إلى قلبي، وأشعر بالسعادة الغامرة، حين الحديث عنه (فضل العلم وشرفه)، تلكم المنزلة الرفيعة، والمكانة العالية، من ضروب الخيرات، التي يعلو بها المرء علواً لاحدّ له، ويشمخ بها حينما يتفاخر الناس ويشمخون، فهو التجارة الرابحة، والعز الميمون، والمُرتقى البعيد.(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) المجادلة(11)

وهنا حديث نبوي استدعاني، وحفزني للحديث عن فضل العلم وقضاياه من وجه آخر جميل وهو (**حديث الترحيب)** بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث جاء في الحديث عن أبي سعيد الحذري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **(سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا: مرحباً مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم واقنوهم)**، واقنوهم قيل: معناها علموهم وفي نسخه (وافتوهم)، والحديث حسّنه الألباني بشواهده، وهو عند الترمذي وابن ماجة وهؤلاء الطلاب هم و**(صية رسول الله)،** وما شرُفوا إلا بشرف ما يحملون من الخير والهدى، والنفع للناس، لأن العلم عائدته حميدة، وعاقبته وسيعة، يتجاوز فضله الآفاق، وتشق كلمته الحدود، ويجعل الله في طيات موانحه منائر الذيوع، ومباهج التدفق والانتشار...

ومن يهتم بأهله، يهتم به، ويعظّم من شأنه، بل كالمهتم بالعلم، المعظم لموضوعاته وقضاياه، الحفيّ بكل سبله وصنوفه.

فهنا لا أناقش فضائل العلم ، بالطريقة التقليدية المعروفة، بل أنطلق من خلال وصية نبوية، مفعمة بالحب والإجلال، والترحيب

بطلبة العلم، الـذين يتغشـون المعـارف، ويهتفـون خلف الفوائـد، ويحملــون مشــقة البحث والســفر والتعب، لأجل الفرائد والزبد والنوادر...

تعبنا وأيمُ الله لكن بجنبنا .: مباهجُ عزٍ ليس عنهن مطلبُ

هؤلاء هم يحق طلبه العلم، الـذين يصـدُقون فيه للـه، ويتطلعـون لمرضـاة ربهم، ويتنافســون فيهم، لتزكية نفوســهم، ورفع الجهل والغشــاوة عن عقــولهم، لأن العلم نــور، وطلبه حيــاة، وحفظه رسوخ، وتبليغه حياة لذيذة بهيجة.

وهذا الحـديث (مرحبـاً بوصـية رسـول اللـه) تأكيد على صلة الإسلام بالعلم والمعرفة، وتحبيذه أهله، وتشريفه لهم، ودعوته إلى حمله والاهتمام به.

فكـان كل طـالب علم، سـاعٍ إلى المعرفة مـرحب به من رسـول الله، وحاظٍ بنواله وتسليمه والحفاوة به.

فأيّ فخر بعد ذلك ؟! أن يلقى الطـالب للعلم مثل هـذا الشـرف، ونحو تلك المكرمة النبيلة.

أهلُ الحديثِ هم آلُ النبيّ وإن لم يصحبوا نفسَه أنفاسَه صحبوا

ولأهمية هذه الوصية، وجب التنبيه عليهـا، وقيـام الأمة بمضـمونها من رعاية العلم وأهلــه، وحفز طلبته ودعاتــه، وإلا كنا مقصــرين متخلفين، خارجين عن التوجيه النبوي، كمثل المجتمعات الضعيفة المتخلفـة، الـتي يولد العـالم والطـالب النهِم فيهـا، فيمـوت من ساعته ! وإنما تلقى الحفـاوة والـدعم والإعـزاز لأهل اللهو والفن الماجن الخليع، والله المستعان..

فعائلُ يستحي الشيطانُ منها .: ويبرأ من سفالتها الخليعُ

ومعالم الترحيب بوصية رسول الله ليس مجرد حب العلماء والتشجيع لهم، بل يتجاوز ذلك كله ليصبح **(مؤسسة مجتمعية)** تتبنى التأهيل والتأسيس العلمي، من الصغر، وترعاه في الكبر، لأن العلم يحتاج إلى استعداد وبذل وبناء ودعم، ووفاء رعاية، كما كان يصنع بعض الأئمة الكبار كابن المبارك رحمه الله في دعمه

وتبنيه فقراء طلبة الحديث، وقال مقولته الشهيرة للفضيل رحمه الله **(لولاك وأصحابك ما اتجرت.**

وكان ينفق على الفقراء، في كل سنة مائة ألف درهم) وعوتب مرة فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده، فقال:

إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم، احتاجوا، فإن تركناهم، ضاع علمهم، وإن أعناهم، بثوا العلم لأمة محمد -صلى الله عليه وسلم- لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم.

وما صنعه أيضاً بعض الولاة والأمراء بتاسيس مدارس علمية، عرفت في التاريخ بالبناء والتأسيس العلمي والاجتماعي، وكان لها أثرها الظاهر والوضاء، لاسيما إذا صحت النية وحسُن القصد.

فالترحيب يقصد به هنا (**منظومة عمل مؤسسي)** متكامل، لأن العلم بوابة النهوض، ومستقبل الأمة، وتعميق تدينها وصلاحها، وإليه يشمخ الرفعاء ويشخص الوجهاء.

ولذلك أحب أن أتحدث عن فضل العلم ومكانة العلماء، وواجبنا نحوهم عبر هذا الحديث الشريف، وتلكم الوصية النبوية الواعية، التي يبين من خلالها، مَن الأولى بالترحيب والتكريم؟! العلماء أم سواهم، والفضلاء أن من دونهم ؟!

غريبٌ دهرنا لما تبدى .: وبات الفدمُ كالعلَمِ الرفيعِ

فهي تهدينا أساساً لمبدأ التكريم، ومن المستحق له دون سواه، وما سبب التكريم وما قيمته، ولماذا تم ذلك ؟، وكيف يكون ؟!

وهي أسئله ملحة ومهمة ، سنحاول الإجابة عنها من خلال هذه الرسالة السريعة.

والله ولي التوفيق...

الأربعـــاء 23 محــــرم 1432هـ

29/12/2010م

(1) الاهتمام بهم :

والمراد اعتبار الطبقة العلمية المتفقهـة، من أرقى طبقـات المجتمـع، حيث يفتح لهم أبـواب التعليم، ويُشـجعون ويمنحـون التسـهيلات، واعتبـار ما هم فيه نمـاء للعقـل، ونهضة للمجتمـع، ومفخرة للـوطن، فتؤسس الجامعـات والمـدارس، وتطبع الكتب، وتنطلق المعارض، والمهرجانـات الثقافية والفكرية والمسـابقات، توقـيرا للعلم، وحفـزاً وتـدعيماً لطلبتـه، وتخصص الميزانيـات الضـخمة، لـدفع حركة التعليم والنهـوض بـالفكر الإنسـاني الـذي يقرب من الله تعـالى ، ويجعل العبد معظمـاً لربـه، مـدركاً نعمته عليه، مؤمناً به، بحيث يزداد نوراً ويتعاظم خشيةً لله تعـالى، **كما قال (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ) (فاطر : 28).**

وقـــــال تعـــــالى : (وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) (الاسراء : 85).

وحينما تعلو منـــائر ضخ العلم والمعرفة ، ســـينتج عن ذلك جيل محب للعلم والثقافة لأنه يعـــدها أرقى الفضـــائل والمـــواهب الشرعية والمجتمعية، فيسعى إليهـا، وحينما يـرى الـدعم والنمـاء للهو واللعب، يســعى لأن يكــون لاعبــاً أو فنانــاً لاهيــاً، والله المستعان.

(2) الاحتفاء بهم واستقبالهم:

هنا شكل من الاهتمام العام بالعلم وأهله، وهو أن تتم الحفـاوة الخاصـة، والاسـتقبال اللائق بطلبة العلم وحملتـه، فيُصـغى لكلمتهم، ويُصـدرون في المجـالس، ويُكرمــون ويُعطَــون العطايــا، وتمنح لهم المزايا جــزاء انقطاعهم العلمي، وجهـدهم الفكـري، وهو أقل ما يقـدم لأنـاس، انقطعـوا للطلب وسـهروا عليـه، وجـدّوا لأجلـه، بل ربما سـافروا وتغربوا للعلم، وبلـوغ الفائـدة، وحصل لهم الفقر والعـوز، وضـلوا في الطرقـات، وأكلتهم المفـاوز، واعتـدى على بعضـهم قطـاع الطرق، واخترقوا المسافات ...! هؤلاء هم أهل الحفـاوة، ومـأوى الإكرام والجلالة.

لاسيما إذا عرفنا أن العلم والتفرغ له، سبب للفقر، وقلة العمل، فوجب حينئذ على أهل اليسار والجدة الانتباه لذلك،قال النضر بن شميل رحمه الله(لايجد الرجل لذة العلم، حتى يجوع وينسى جوعه) !!ومن الظريف قول بعضهم:

قلت للفقر أين انت مقيم   قلت في عمائم الفقهاءِ؟!

إن بيني وبينهم لإخاءً   وعزيز على قطع الإخاءِ

وقال آخر:

إن الفقيهَ هو الفقير وإنما   راءُ الفقير تجمّعت أطرافها

فيجب سد حاجة العلمـاء، كما كـان يصـنع بعض الأمــراء والعلمــاء الموســرين، يعتنــون بــالفقراء، ويستقبلونهم تنفيذاً لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحماية للدين، وترسيخاً للعلم، وتوريثاً للخير.

(3) تيسير أسباب التعلم لهم :

بمعنى تقريب الإمكانات والأدوات العلمية نحو :

1- تأسيس الدروس العلمية ، وصناعة الدورات التثقيفية في هـذا المجال.

2- توزيع الكتب والمراجع الأساسية الهامة في المكتبة الإسلامية.

3- منح الفـرص والآفـاق الـتي تـتيح لهم الحضـور أو السـفر، أو المشاركة.

4- تقريب الوسائل التقنية لهم ، واعتمادها في التيسير العلمي.

5- إهداؤهم الكتب الإسلامية الثمينة والنفيسـة، الـتي يتعـذر على بعضهم امتلاكها.

وهذه نرى أنها من أهم عوامل التيسير المطلوب، لا سيما إذا علمنا قدوم طلاب مهاجرين من شرق آسيا وأفريقيا وأوروبا وغيرهـا، قد تـدينوا، ولـديهم الرغبة الصـادقة للعلم الشـرعي، حـتى يعـودوا سـفراء إلى بلدانهم.

(4) تصديرهم وإنزالهم منازلهم :

بحيث تكون الرفعة والشامة لهم بين النــاس ، فلا يصح تقديم السفلة وأرباب اللهو والطرب على العلماء والفقهــاء، والمهندســين والمبتكــرين، الــذين عُرفــوا بالجد والحزم والانقطاع العلمي... لا يستوون !!

إذ كيف يُســاوى نقــاش الكتب بــالقراءة والفكــرة والبحث، بتقاش العود والكرة؟؟!

وللأسف لما انحطت الهمم وزاغت العقول ، بـاتت الحظـوة والمكانة لرمــوز اللعب والفن والتهــريج، وأُهين العلمــاء وأُهمل الباحثون، وضُيع المبتكرون!! ولا حول ولاقوة إلا بالله...

ولو أن الكفرة الفجرة ، نبغ فيهم عالم أو مبتكر أو مخــترع، لما فرطو فيه، ولأنزلوه خير المنـازل وأطيبهـا، وأعـزوه بـالأموال والنفــائس حــتى يكــون لهم مجــداً وذُخــراً ... بل إننا نتســامع باصطيادهم لطلاب البعثات العربية ، وفتح المجـالات لهم وهجـرة كثـير من الطاقـات العربية إليهم، حـتى صـنف غـير واحد ظـاهرة **(الطيور المهاجرة)** وأما سواهم ، فلا يعنيهم الأمر من بعيد ولا قريب. والله المستعان...

(5) معاونة فقيرهم ومحتاجيهم :

استفاض من خلال سير العلماء والفقهاء عبر التاريخ، لـزوم نتيجة غالبة، أن العلم مفقر، والجهل مغنٍ، لأسـباب عديـدة، لعل منها انقطــاع المتعلم، وتركه لمشــاغل الحيــاة، بما يفــوت عليه طرق تحصيل الرزق.

وقد قـــال النضر بن شــــميل رحمه الله (لا يجد الرجل لذة العلم حتى يجوع وينسى جوعه) كما تقدم.

وقـال الشـافعي : (من طلب العلم بـذل النفس، وضيق العيش، وخدمة العلماء أفلح).

وقـــال مالك : (لا يبلغ أحد هـــذا العلم، حـــتى يضر به الفقر، ويؤثره على كل شيء)

وما أجمل أن تؤسس دور ملحقة بالمســـاجد، تـــؤوي فقراء الطلبة وتطعمهم، لاسيما القـادمون من أمـاكن بعيدة ، كما كان يصنع في الغابر الإسلامي الجميل، فلا يشحذ التلميذ أو يتكفف الناس، وهذه (أموال الأوقاف) يمكن أن تعالج مشكلتهم، وتغـني العلمـاء وتعـزهم من أن يُسـتذلوا أو يُهـان علمهم، كما يُصـنع هـذه الأيـام، وحينما أخذت الأوقـاف، لم تعد مسـتقلة بأيـدي الأمـة، فجاع العلماء، وافتقر الطلاب ....!

(6) تشجيع دروسهم وبحوثهم :

بمعنى أن يسـهم المجتمع في بث تلكم الـدروس، واستصــــدار الفسح الـــدعوي لها ، وتعمم، وتصـــبح معروفة، وتعلن من خلال المواقع الالكترونيـة، ويصـبح لكل عالم شـبكة بث تنطلق دروسه إلى كل مكـان، ليعم الخــير، ويتقلص الشــر، ويحقق دعــوة الإســلام في نشر الكلمة الطيبة ورفع الجهل عن العــالم المــرتقب للخــيرات، والمتطلع للبركات، وكثـيراً ما تعـادى دروس بعض طلبة العلم وتحـارب من خلال الحسدة والحاقدين، فإن لم يكن لهم من يعضدهم ويعــزهم تلاشت وانقطعت، وكان لذلك أثره المشين على الناس والدعوة، فتعين على كل ذي جاه ومـال ومكانـة، أن يـدعمهم ويحميهم من الأذى والقمـع، ليصـون (**الوصـية النبوية**)، وحفاظـاً على مجد الإســلام وذيوعـــه، والــذي من عوامل انتشــاره الجهد العلمي والدعوي.

(7) حمايتهم وتمكينهم:

ونعـني بهـا، صـونهم من يد الغـدر أن تصل إليهم، بسبب مـواقفهم أو فتـاويهم المشـرقة بـالحق، والأمة بمؤسساتها الشعبية والأهلية تسـتطيع أن تصـنع شـيئا

من ذلـــك!! لأن الحبس والاعتقـــال ليس للعلمـــاء وطلبتهم، وإنما لأناس آخرين!!

السـجن للعلمـاء أم للمجـرمين بـه افتراشْ؟!

قولـوا لمن قطعـوا المعـاش اللـه قـد رزق الخشاشْ!

كل وسيلة من شأنها حمـايتهم، فيجب على الأمـة المبادرة إليها، ومن ثم تمكينهم تدريسا ودعوة وعطـاء وجهـادا، بـل تحويـل جهـدهم إلى مؤسسـات فاعلـة ومثمرة، والله الموفق.